

لماذا تنهال العُروض السعودية والأمريكية "السريّة" الحافلة بالمُغريّات على الرئيس الأسد هذه الأيام؟



وهل سيُرد الرُّوس هذه المَرَّة على أيِّ عُدوانٍ ثُلثيٍّ جَدِيدٍ على سورية؟ ولماذا لا نَسْتَبْعِد ذلك؟ وهل سيَجِد ترامب الانتصار الذي يَبْحَث عنه في إدلب؟

عبد الباري عطوان

تتكاثر هذه الأيام العُروض السعودية والأمريكية السريّة "المُغريّة" للقيادة السورية، وتتمحور حول فك ارتباطها مع محور المقاومة (إيران حزب الله تحديدًا)، مُقابل رئاسة مَدَى الحياة، وضخ المليارات في عمليّة الإعمار، مثلما تَزداد في الوقتِ نَفسه الحُشود العسكريّة تَلويحًا بضربةٍ عسكريّةٍ وشيكةٍ، والعودة إلى التّهديدات بتغيير النظام السُّوري بالقُوّة، ولكن احتمالات الرّد الرُّوسيّ على أيِّ عُدوانٍ ثُلثيٍّ أمريكيٍّ بريطانيٍّ فرنسيٍّ جَدِيدٍ ستكون مُختلفة، وربما صادمة، في ظل وجود حوالي عَشْر سَفُنٍ حربيّةٍ، وغوّاصتين روسيّتين قُبالة السّواحل السوريّة.

إذا بدأنا بالعُروض السريّة التي انهالت على القيادة السوريّة في الأسابيع الأخيرة، فهي تأتي في إطار سياسة العاصم والجزرة، ويُمْكِن حصرها في عرضين أساسيين مُهمّين: الأول: كشفت عنه صحيفة "الأخبار" اللبنانيّة المُقرّبة من "حزب الله" ووكالة "فارس" الإيرانيّة شبه الرسميّة اليوم الثلاثاء، وحمله قائد عسكري أمريكي كبير وبصُحبتِه مجموعة من مُمَنّذلي أجهزة مُخابرات أمريكيّة مُتعدّدة، ووصل إلى مطار دمشق على ظهر طائرة إماراتيّة خاصّة،

والتقاء اللواء علي المملوك، رئيس مكتب الأمن الوطني السوري، وكل من اللواء ديب زيتون، رئيس المخابرات، واللواء موفق أسعد، نائب رئيس هيئة أركان الجيش السوري، واستمر اللقاء أربع ساعات.

العرض الأمريكي تضمن من سحب جميع القوَّات الأمريكية من سورية مُقابل تنفيذ دمشق ثلاثة مطالب: أولها: انسحاب إيران من الجنوب السوري المُحاذي لإسرائيل، وثانيها: ضمانات لشركات أمريكية على حصة من النفط السوري شرق الفُرات، وثالثها: تقديم معلومات كاملة عن الجماعات الإرهابية وعناصرها في سورية.

الثاني: كشف عنه السيد نواف الموسوي، عضو البرلمان اللبناني عن كُتلة "حزب الله" في برنامج شارك فيه في قناة "الميادين"، وكنت أنا شخصيًا ضيفًا فيه، وقال السيد الموسوي أن الأمير محمد بن سلمان، وليّ العهد السعودي، أوفد مبعوثًا إلى الرئيس الأسد حاملًا عرضًا ببقاء الأسد رئيسًا مدى الحياة، الشهر الماضي، ومشاركة السعودية في إعادة إعمار سورية بسخاءٍ، مُقابل التخلي عن العلاقة مع إيران و"حزب الله".

القيادة السورية رفضت العرضين بشكلٍ صارمٍ، وقالت للوفد الأمريكي أن قوَّاتكم في سورية هي قوَّات احتلال وسنعامل معكم على هذا الأساس، وأنّها جزء من محورٍ استراتيجيٍّ ولا يُمكن أن تتخلى عن حليفها الإيراني و"حزب الله"، أمّا بشأن تقديم معلوماتٍ استخباريّة عن الجماعات الإرهابية فهذه مسألة يُمكن بحثها بعد إقامة العلاقات السياسيّة، والشّيء نفسه يُقال عن إعطاء الشّركات الأمريكية حصةً في صناعة النفط والغاز السوريّة.

أمّا إذا انتقلنا إلى عرض الأمير محمد بن سلمان والذي تضمن بقاء الرئيس الأسد في السُّلطة مدى الحياة، ومشاركة بلاده في إعادة الإعمار، فهو ليس عرضًا جديدًا، وقدّمه الأمير بن سلمان في بداية الأزمّة عندما التقى اللواء علي المملوك أثناء زيارةٍ سرّيّةٍ جرى ترتيبها بواسطةٍ روسيّة (يونيو عام 2015)، وطرح المطالب نفسها، أي قطع العلاقة مع إيران و"حزب الله"، وكان الردّ صادمًا للمضيف السعودي، أي الرّفض التّام رغم أنّ فصائل المعارضة المسلّحة كانت تُسيطر على حوالي 80 بالمئة من الأراضي السوريّة بدعمٍ سعوديٍّ أمريكيٍّ غربيٍّ.

الآن بعد استعادة الجيش العربيّ السوريّ أكثر من 85 بالمئة من الأراضي السوريّة، يبدو العرض السعوديّ غريبًا وغير مَفهوم، مُضافًا إلى ذلك أنّ قبُول السعودية بالأسد رئيسًا مدى الحياة لا يُقدِّم ولا يُؤخّر بالذّات نظرًا إلى ما تقدّم، أمّا مسألة مشاركة الدّول التي مولت ودرّبت ودعت الفصائل المسلّحة في الأزمّة السوريّة، وبهدف تغيير النّظام، فإنّها مُلزّمة بالقانون الدّوليّ، ودفع تعويضاتٍ بمئات المليارات من الدُولارات، ليس من أجل إعادة الإعمار، وإنّما لتعويض أهالي الضّحايا الذين سقطوا بسبب هذا الدّعم.

هذا الرَّفَّضُ السُّورِي لِكُلِّ هَذِهِ الْعُرُوضِ مَعَ بَدءِ الْاِسْتِعْدَادَاتِ وَالْحُشُودِ الْعَسْكَرِيَّةِ مِنْ قِبَلِ الْجَيْشِ الْعَرَبِيِّ السُّورِيِّ لِاِسْتِعَادَةِ مَدِينَةِ اِدْلَب، هُوَ الَّذِي يُفَسِّرُ تَصْرِيحَاتِ الرَّئِيسِ الْفَرَنْسِيِّ اِيْمَانُويل مَاكرون، الَّتِي قَالِ فِيهَا فِي خِطَابِهِ السُّورِيِّ اَمَامَ السُّفَرَاءِ الْعَرَبِ وَالْاَجَانِبِ "اَنْ عَوْدَةَ الْاَوْضَاعِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي سُوْرِيَةِ مَعَ بَقَاءِ الْاَسَدِ فِي السُّلْطَةِ خَطَا فَاَدِحًا".

الْعُدُوَانُ الثُّلَاثِيُّ الْاَمْرِيكِيُّ الْبَرِيْطَانِيُّ الْفَرَنْسِيُّ عَلَى سُوْرِيَةِ بَاتٍ غَيْرِ مُسْتَبْعَدٍ، اِنْ لَمْ يَكُنْ وَشِيكًا، وَاَنْ الذَّرِيْعَةَ هِيَ اِسْتِحْدَامُ السُّنْطَامِ لِلسَّلْحَةِ كِيْمَاوِيَّةٍ عَلَى غِرَارِ الْعُدُوَانِ الْاَوَّلِ فِي نَيْسَانَ (اِبْرَيْل) الْمَاضِي، لَكِنْ الْفَارِقُ بَيْنَ الْعُدُوَانِيَيْنِ يُمَكِّنُ تَلْخِيصُهُ فِي نَقْطَتَيْنِ:

– الْاَوَّلَى: اَنْهُ قَدْ يَكُونُ عُدُوَانًا اَوْسَعُ نِيْطَاقًا هَذِهِ الْمَرْرَةَ اِذَا مَا تَقَرَّرَ شَنْدُهُ، وَرَبَّمَا يَشْمَلُ اَهْدَافًا اِسْتِرَاطِيْجِيَّةً، مِنْ بَيْنِهَا الْقَصْرُ الْجُمْهُورِيُّ فِي دِمَشْقِ.

– الثُّلَاثِيَّةُ: اَنْ رُوْسِيَا الَّتِي فَصَّحَتْ "سِينَارِيُو الذَّرَائِعِ" الْمُتَوَقَّعِ لِتَبْرِيْرِهِ، اَيِ اِسْتِحْدَامِ اَسْلِحَةٍ كِيْمَاوِيَّةٍ، لَنْ تَقْبَلُ مَكْتُوْفَةَ الْاَيْدِي هَذِهِ الْمَرْرَةَ، وَرَبَّمَا تَتَصَدَّقُ لَهَا فِي طُلُوعِ اَعْلَافَاتِهَا الْمُتَوَتَّرَةِ مَعَ اَمْرِيكَا، وَاِصْرَارِهَا عَلَى عَوْدَةِ اِدْلَبِ اِلَى السُّبُوْدِيَّةِ السُّورِيَّةِ، وَ"تَطْهِيْرِهَا مِنْ الْجَمَاعَاتِ الْاِرْهَابِيَّةِ"، مِثْلَمَا ذَكَرَ نَائِبُ رَئِيسِ هَيْئَةِ اَرْكَانِ الْجَيْشِ الرُّوسِيِّ.

مَا يَجْعَلُنَا نُرَجِّحُ هَذَا التَّحْوُّلَ فِي الْمَوْقِفِ الرُّوسِيِّ، مَا يَجْرِي تَسْرِيْبَهُ هَذِهِ الْاَيَّامَ مِنْ تَزْوِيْدِ الْجَيْشِ السُّورِيِّ بِصَوَارِيخِ "اِس 400" و"اِس 300" الرُّوسِيَّةِ الْمُتَطَوَّرَةِ جِدًّا، وَكَذَلِكَ حَشْدِ فِرْقَاتِ عَسْكَرِيَّةٍ رُوْسِيَّةٍ قُبَالَةِ السُّوَاوَحِلِ السُّورِيَّةِ مُزَوَّدَةِ بِصَوَارِيخِ مُضَادَّةٍ لِلطَّائِرَاتِ وَالصَّوَارِيخِ.

الرَّئِيسُ تَرَامْبُ يَبْدُو حَاحًا عَنْ اِنْتِصَارٍ صَغِيْرٍ لِتَخْفِيْفِ الضُّغُوْطِ الْمُتَزَايِدَةِ دَاخِلَ بِلَادِهِ الرَّسَامِيَّةِ اِلَى الْاِطَاحَةِ بِهِ وَطَرْدِهِ مِنْ الْبَيْتِ الْاَبْيَضِ ذَلِيْلًا مُهَازِنًا بِسَبَبِ فَضَائِحِهِ الَّتِي تَزَكُّمُ الْاُنُوفِ، وَنَشْكُ اَنْهُ سَيَجِدُ هَذَا الْاِنْتِصَارَ فِي اَيِّ عُدُوَانٍ جَدِيْدٍ عَلَى سُوْرِيَةِ، لِاَنْ قَوَاعِدَ اللُّسُْعِيَّةِ تَغْيَّرَتْ كُلًّا يَسَّرًا. وَالْاَيَّامُ بَيِّنْدَنَا.